

توصيف النخب الحاكمة الإسرائيلية للفلسطينيين بالحيوانية حكاية قديمة ... صهيونية

لتسويغ سحق الغزويين، صرح وزير الدفاع الإسرائيلي، يوم 9 أكتوبر 2023، بأن "الفلسطينيين حيوانات بشرية". لقد أثار هذا التصريح سخط وغضب مواطني العالم الذين حافظوا على إنسانيتهم، أمام هذيان وطوفان الدعاية المعادية للفلسطينيين، وللعرب والمسلمين الصادرة عن النظام الإعلامي الغربي المهيمن.

والحقيقة أن تصريح هذا الوزير جاء ليؤكد، إن كانت حاجة إلى ذلك، ما سميناه، في مقال (1) نشر في 2015، بـ "حيونة" (زومورفيزم) الفلسطينيين التي قالت بها النخب العنصرية الإسرائيلية. ونعيد، هنا، عرض الجزء الذي يتحدث عن هذه النذالة، دون أن يغيب عن ذهننا، رأي "إيمي سيزير" النموذجي الذي يقول فيه: "تجب، أولاً، دراسة كيف يعمل الاستعمار الاستيطاني على تجريد المستعمر من أسباب الحضارة ليجعل منه شخصاً متوحشاً، بالمعنى الحقيقي للكلمة، ويسفله، ويوظف فيه الغرائز الدفينة، والطمع، والعنف، والحقد العنصري، والنسبية الأخلاقية".

الحيونة الإسرائيلية

"الفلسطينيون (كذا) حيوانات (2) تمشي على قدمين" (مينا حيم بيغن)(3)

إذا "لم يكن هناك شبيهه للفلسطينيين"، حسب غولدا مائير" (4)، فمن الذي يمكن أن يشبههم إضافة إلى كونهم

"عبداً"، و "سرطاناً"، وأناساً من درجة دنيا" و"دواباً"؟! إلى جانب الحط من قيمة الفلسطينيين وتحقيرهم، باسم تفوق نسبه الإسرائيليين لأنفسهم، وكما لو أن مجمل هذه التدابير العنصرية غير كافية، تضيف النخب الإسرائيلية صفة الحيوانات على الفلسطينيين. وبالضرورة، فإن بقية السكان الإسرائيليين ينخرطون في هذه العملية ويمارسون، أيضاً، هذا التوصيف بالحيونة في حق الشعب الفلسطيني. غداة الحرب العالمية الثانية، ومنذ بدء (5) مسار الهيمنة على الفلسطينيين وسلبهم واضطهادهم، أصبح الصهاينة أنصار فكرة الحيونة لما يتحدثون عن الفلسطينيين. وبلا شك، فإنهم قد تناسوا أن الألمان اليهود كانوا ضحاياها في ألمانيا النازية في البداية، ثم توسع الأمر ليشمل اليهود الأوروبيين في أوروبا بعدما خضعت هذه القارة للنازية.

إن معاداة السامية – مفهوماً، ونظاماً وممارسة – وهذا أمر لا تكف عن تكراره قط – هو اختراع غربي أوربي مشؤوم، اختلط في إطار الإيديولوجية النازية، مع الإقصاء الإجرامي لليهود من عالم البشر. وقد استند هذا الإقصاء على التوصيف بالحيوان، وبشكل خاص، الحيوانات المنعوتة بأنها ضارة. وقصد تحضير الأذهان لتقبل ما لا يوصف ولإقصاء الصفة المبتدلة على الجريمة، تم تصوير اليهود، بصفة مطلقة

وممنهجة، على أنهم عالم حيواني حقيقي أو متخيل، وحقير، ومرعب، وشائن، ومقزز أي عالم زواحف، وجرذان، وصراصير وجراد (6) وأنواع أخرى من الحشرات.

لنفتح قوسين، هنا، لنذكر بأن توصيف الكائن البشري بالحيوانية، مورس، قبل الفاشية والنازية، وذلك ابتداءً من القرن 19، في قارتنا، من طرف الاستعمار الغربي (7)، الذي أنجب هذين الأيديولوجيتين. إن التوصيف الإجرامي لليهود بالحيوانية من قبل النازيين كان يستهدف، بوضوح، تصفيتهم، وهو ما حدث فيما بعد.

وبالنظر إلى دروس التاريخ، كان من الممكن أن نظن أو نأمل، في أن يعفينا غرب، مسد للدروس ولكنه تلميذ رديء، إعفاء تاماً، من طرق فبركة وتصوير كائنات بشرية بأنها حيوانات، وهي طرق اعتقدنا أنه

قد قضي عليها بصفة لا رجعة فيها. إن " العقول " الغربية، التي لا تزال، إلى غاية اليوم، باستثناءات نادرة، تقف صامتة أمام جرائم الدولة الصهيونية، مثل أغلبية المنحدرين من أولئك الذين عانوا من هذه الفظاعة النازية في أوروبا، يقبلون مناهج التحقير والحيونة النازية طالما أن الأمر يتعلق بالفلسطينيين (8). إن الكلمات التي تنفوه بها النخب العسكرية – السياسية، والدولية، والدينية الإسرائيلية من رؤساء حكومات، ووزراء، وقادة أركان الجيش، وجنيرالات، وحاخامات وصحفيين وغيرهم، لوصف الفلسطينيين هي مماثلة للكلمات التي استعملها النازيون لتحقير وتجريم اليهود. وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

- " الفلسطينيون يشبهون الصراصير داخل وعاء زجاجي " (1979)، رفائيل إيتان، رئيس سابق لهيئة أركان الجيش الإسرائيلي، 1979.
- " الفلسطينيون حيوانات تمشي على قدمين " و " جراد يجب القضاء عليه "، ميناخيم بيغن، رئيس حكومة سابق، 1982.
- عندما نستعمر البلد، لا يبقى أمام العرب سوى الدوران مثل صراصير مخدرة حبيسة داخل زجاجة "، رفائيل إيتان، رئيس سابق لهيئة أركان الجيش ووزير أول إسرائيلي سابق، " نيويورك تايمز "، 14 أبريل 1983.
- سيسحق الفلسطينيون مثل الجراد، وستحطم رؤوسهم على الصخور والجران "، إسحاق شامير، وزير أول سابق / 1 أبريل 1988.
- الفلسطينيون مثل التماسيح، فكلما أطعمتها لحمًا كلما زاد نهمها "، إيهود باراك، وزير أول سابق، ووزير دفاع سابق، " جيروزاليم بوست "، 30 أبريل 2000.
- إن هذا التماهي مع عالم الحيوان شبيه بالحيونة التي مارسها النازيون على اليهود، تصنف الفلسطينيين ضمن الحيوانات "القدرية" (9). وهذه التصورات المرغوبة التي يضاف إليها الخيال، تقدم الفلسطينيين على أنهم حشرات وزواحف، وهي أسوأ ما في عالم الحيوان. وهنا، وبالإضافة إلى صور ومكانة الحيوانات القدرية – جراد، صراصير، جردان وغيرها... – التي ينعت بها الفلسطينيون، تعني إضرار وانعدام جدوى هذه الكائنات. ومثلما هو الحال مع الكائنات الضارة، يقتضي الأمر إبادتهم. وإن هذا ما يعنيه، بشكل صريح، وزير الدفاع الإسرائيلي، عضو حزب " الليكود "، مثل " ناتانياهو "، وريث حزب " حيروت "، الذي أسسه " بيغن " (10)، والذي قال عنه " إنشنتاين " ومتفقون آخرون، بأنه " يدعو إلى مذهب دولة فاشية ".

سماويل حاج علي

1. مقال "استعمار فلسطين"، أوت 2015، <https://www.legrandsoir.info/colosionisation-de-la-palestine.html> Le Grand Soir
2. أنظر بهذا الخصوص: أنظر، " نشيد رعبهم الخاص "، لـ "سماويل حاج علي" في: http://palestine-solidarite.org/chant.smail_hadj-ali.070315
3. "بيغن"، أنظر: " دولة القتل الطوعيين "، في: <http://www.protection-palestine.org>, août 2006, L'Etat des tueurs volontaires.

Smaïl Hadj Ali

4. " استعمار فلسطين"، مقال سبق ذكره.

5. " نشيد رعبهم الخاص" لـ " سماعيل حاج علي،

http://palestine-solidarite.org/chant.smaïl_hadj-ali.070315

6. يعتبر الجراد مصيبة إلهية، حسب التوراة والعهد القديم.

7. نعني بهذا أن الاستعمار بوصفه شكلاً من أشكال الهيمنة والاستغلال هو وليد النظام الرأسمالي والإمبريالي. وفي كتاب " بشرة سوداء وقناع أبيض"، يبين " فرانتز فانون" بأن لغة المستعمر عندما يتحدث عن المستعمر هي لغة تخص عالم الحيوان.

8. اطلعنا على دراسة نشرها موقع " متحف اليهودية"، وهي دراسة تعالج حيونة اليهود من طرف النازيين و "معاداة السامية لدى العرب". ولكن الجمل لا يرى سوى حذبة غيره؛ إذ لم تشر الدراسة، مطلقاً، إلى الخطابات العنصرية والمحيونة التي يطلقها زعماء إسرائيل ضد الفلسطينيين. ربما لك يكن ذلك موضوع هذه الدراسة.

نحن 9. <https://www.google.com.br/search?q=mus%C3%A9+du+judaisme&>

الذين شددنا على ذلك

10. " ناتانياهو" ووزير دفاعه، هما وريثين حقيقيين لـ " ميناحيم بيغن"، الذي وصفه " ألبير إنشتاين" و " حنة أرندت"، في عام 1948، بالفاشي، في عريضة نشرتها جريدة " نيويورك تايمز". كان ذلك خلال رحلة إلى الولايات المتحدة لمن كان، آنذاك، مسؤول " حزب يدعو إلى مذهب الدولة الفاشية"، مثلما جاء في العريضة المذكورة. وهذا الحزب هو " حزب حيروت" الذي أسسه " بيغن"، في 1948. وفي 1973، خلف حزب الليكود حزب " حيروت" وترأسه "بيغن"، مدبر اغتيال 254 قروبياً، في " دير ياسين"، في عام 1948. أنظر: " دولة القنلة الطوعيين"، في:

, <http://www.protection-palestine.org>, août 2006.